رسالة عبد الحميد الى الكتاب (*)

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين اصنافا (١) وان كانوا في الحقيقة سواء (٢) وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم (٣) وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروآت (٤) والعلم والرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم (٥) لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فهيما (٦) في موضع الحكم (٧) مقداما في موضع الاقدام محجاما (٨) في موضع الاحجام مؤثرا العفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم (٩) يحكمه اخذ منه بمقدار (١٠) من الحسن والاحتيال على صرفه (١١) عما يهواه من القبح (١٢) بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت جموحا (١٣) لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين يديها (١٤) وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (١٥) لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم (١٦) وداخلهم والكاتب بفضل (١٧) ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره

(*) عارضنا هذه الرسالة التي اخذناها من مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احداهما في مكتبة احمد زكي باشا والثانية في خزانة كتب احمد تيمور (١) ح الملوك (٢) ح سواء (٣) ح في معايشهم (٤) ح المروءة (٥) ح سلطانهم (٦) ح فهما (٧) ح الحكم (٨) ح محجما (٩) ح وان لم (١٠) ح مقدار (١١) ح صرفه (١٢) ح من القبح (١٣) ح رموحا (١٤) ح من قبل يديها (١٥) ح دليل (١٦) ح وخدمهم (١٧) ح الفضل

من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها.

ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر، واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة، ويصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله تعالى.

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه، فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير، وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير، واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم، واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب، ويفضحان أهلهما، ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب. وللأمور أشباه، وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة. واعلموا أن للتدبير آفة متلفة، وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورؤيته، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليوجز في ابتدائه وجوابه، وليأخذ بمجامع حججه، فإن ذلك مصلحة لفعله، ومدفعة للتشاغل (١) عن إكثاره، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه، فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائل إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه (٢) أو مقالته (٣) إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف. ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبء [illegible] يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته وعتاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته.

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها، وسفساف الأمور ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب.

---

(١) [illegible] التشاغل (٢) [illegible] حسن ظنه (٣) [illegible] مقالة

ونزهوا صناعتكم عن الدناءات (١) واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر والصلف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة ، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل (٢) الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره وإن أقعد أحداً (٣) منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها (٤) إلا الى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وصبره (٥) ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق (٦) ذلك بفعاله عند الحاجة إليه والاضطرار الى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه من (٧) وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة ، وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب (٨) الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكماً وللأشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن إيذائهم متخلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجه واستقضاء (٩) حقوقه رفيقاً وإذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه الحسن من مرافقته الى مسالكه ومصاحبته في خدمته فإن أعقل الرجال عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن صاحبه أعقل منه وأجمل (١٠) في طريقته ، وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر (١١) على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب

---

(١) ح الدناءات (٢) ح العقل (٣) ح احدكم الكبر (٤) ح يضيفها (٥) ح [illegible]
(٦) ح ويقصد ذلك بفعاله (٧) ح لمن (٨) ح الخلائق يريد (٩) ح استقصاء (١٠) ح احمد
(١١) ح ولا تكاثر على

وغيرة كلامه عند الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك حمدته آخره وأحمده [illegible] مولاه الله وإياك [illegible] الحكمة والكتبة ما يتولى [illegible] من سبق [illegible] وإرشاده فإن دلت إليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

العامية من الفصحى

كتب بعض الباحثين في هذه الأيام في التقريب بين اللغة الفصحى واللغة العامية وقد قرأنا كتاباً (١) اسمه القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب تأليف الشيخ محمد ابن أبي السرور الصديقي من أهل القرن الحادي عشر [illegible] في مقدمته [illegible] طالعت كتاب [illegible] الأصمعي عن كلام أهل مصر العلامة [illegible] الأدب [illegible] إلى [illegible] الشيخ [illegible] العربي [illegible] بحث الكتاب [illegible] الأدب استطراده إلى [illegible] الألفاظ العربية التي ليست من شرط الكتاب [illegible] وحكايات من قبيل الاستطراد لا [illegible] في هذا التصنيف [illegible] في هذا التأليف فخطر في أن [illegible] من [illegible] والمطاردة من [illegible] من اللغة الألفاظ أصل في اللغة العربية [illegible] أهل الديار المصرية [illegible] القاموس [illegible] القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب [illegible] والكتاب [illegible] على حروف المعجم [illegible] في صفحة [illegible] لا يخلو [illegible]

يقولون [illegible] في [illegible] لا [illegible] ويقول العامة في [illegible] كم [illegible] أي [illegible] اللغة [illegible] اللغة العربية [illegible] ويقولون [illegible] الضمير [illegible] القاموس [illegible] في الحرب [illegible] ويقولون عند [illegible] في [illegible] ويقولون في [illegible] في القاموس [illegible] القول [illegible] لا [illegible]

---

(١) [illegible] المحدث [illegible]